



بين الرهبان

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جيل

رأى الرهبان اللبنانيون شريعة العمل واجبة فتيقّدوا بأحكامها متبشرين وانقادوا لأوامرها طائعين ، واندفعوا يديرون ايدي العمل في شقّ الارض وخذها غير حاسبين للتعب حساباً . وما فتوا يتالبون صعيها وصدامها بصبرهم ونشاطهم حتى ذلت لهم واستكنت فجنوا من جيد البذار وفر الحيور والثمار .

ترعرعت الرهبانية بالعوز والفقر . وكانت اراضيها لا تقفي بحاجة ابنائها ، فاضطرت ان تستأجر اراضي عين بقره سنة ١٧١٣ من الحاكم الشيخ عدي حماده بشن عشرة غروش في السنة ، وارضى بسجل سنة ١٧١٥ من مشايخ ناحية الزاوية في طرابلس مدّه عشرة عقود يبلغ خمسة وثلاثين غرشاً في كل عام .^(١)

فأجال الرهبان فيها آلات الحراثة فدرت عليهم بالنتاج والنماء . وبكثرتهم وجدتهم وعرق جبينهم وبسواعدهم القويّة حولوا صخور بعض بقع لبنان انصتاء . وارضه الجديا . الى تربة خصبة وجنان نضرة غناء . تُشبع القلب غبطة ومسرّة والعين بهجة ورواء . وهم الذين علّموا الشعب قواعد الزراعة ودرّبوه على العمل بها وكانوا له فيها مثال الحزم والاجتهاد .

قال السيد ميسلن في سياحته بليشان سنة ١٨١٨ ، في معرض كلامه عن دير قزحياً ودير مار سركيس وياخس قرطبا :

« ان رهبان دير قزحيا ينسبون وقتهم بين الصلاة وحرث الارض . وما كان ذلك الوادي الا خراباً فأجال الرهبان فيه بد الممران بنشاط لايرف الملل فأخصب بشظهم وترينت تلك الجبال غير المعروثة وغير المكونة بما غرسوا فيها من الاشجار وأكنت ثجوجا الاخضر . وعليه فلا يوجد ملك مكتسب يبدل كاملاتهم . والرهبان في لبنان ، دأجم في كل مكان ، م الذين بدأوا بكري الارض وعزقها واولجوا للزراعة قواعد ضامنة لهم النجاح وقدّموا لغيرهم من انفسهم امثلة صبر ونشاط . »

وليس في العمل من ذلّة ولا غضاضة والمرء مجربٌ على السعي لرزقه ، أما الحقايرة والصفار ففي البطالة . لذلك اوجب القانون الرهباني على الراهب العمل روحياً كان او جسدياً ، وحدّر عليه البطالة تلافياً للساوي الناجمة عنها . وهذا ما علّقه مؤسس الرهبانية المطران عبد الله قراعلي على فقرة القانون :

« عمل اليد الرهباني يجب ان يكون بقدر القوّة لا ازيد ولا اقلص لانّ الله سيطلب كلّنا عن عمل ايدينا بمقدار القوّة التي اعطاناها . وسيطلبنا بمسنا الذي خلقه سالماً ان عملنا فوق طاقتنا فعملنا آكّل لا نفع منها عاجزة عن العمل . . . فيجب على الراهب الصحيح الجسم ان يلازم العمل روحياً لانّ ام جسدياً لئلا ينقلب للبطالة بل ليغت من شرّها وينجو من الرذائل المتولدة منها . لانّ البطالة آفة الاعمال الصالحة كافة ، والراهب العامل يقاتل شيطاناً واحداً اما البطال فياتزم قتال شياطين كثيرة . وقد حثّ القديس بولس على البطال بالزني والطرده من الجماعة . . . واذا كان العمل غير مفيد للاخوة فيخطئ صاحبه الى الذم والى المعية . . . ولا يأتي الراهب عملاً الا ما يقدّمه ربه لئلا يصبح عمله خطيئة ضد القانون » (١)

رسخ حبّ العمل في قلوب الرهبان فاقبلوا عليه بنفس طيبة ومضاء غزير يشجده التمرن والجلد على الاشغال الشاقة حتى افترط بعضهم فيه وانهمكوا البدن ممّا دعا شارح القانون الى ايجاب العمل على قدر القوّة كما مرّ . وكانوا كلما كثّر عددهم كثرت فيهم الايدي العاملة لانّ معاشهم لم يكن الا من الاراضي فراحوا يقتلون بالمولد رمز قون احشاءها بالمحراث ، وما انفكوا حتى استخراجها من قلبها الكنوز والخيور واقتنوا مجدهم ونصبتهم ما اقتنوا وورثوا احقادهم من الاملاك ما ورثوا « وبمرق جيبتهم اكلوا خبزهم » (تكوين ٣ : ١٣) ، وهم « يتعبون عاملين بايديهم » (١ كور ٤ : ١٢) . ولهم ان يرثوا بكل حق وصواب آية الرسول الشريفة : « ما اكلنا خبز احدٍ مجاناً بل اشتغلنا

(١) كتاب المصباح الرهباني في شرح القانون اللبناني الحطّي ، للمطران قراعلي ، الفصل الحادي عشر في عمل اليد .

بالصب والكد ليلاً ونهاراً لئلا ننقل على احدٍ منكم» (٢) تسالونيكي ٣ :
 (٨) ونحن نستغرب المنّ الذي يمننا به بعض العالمين بقولهم : « ان اوقاف الرهبان
 هي من جدودنا» فإين هي هذه الاوقاف ؟ ليدلنا اصحابها عليها ويأتوا بالحجة
 والبرهان لاثبات هذا الادعاء حتى نسلم لهم مقتنعين . واذا كان من ثمّ بعض
 اوقاف من الاراضي فهي قليلة جداً . وقد كانت باثرة قاحلة فاشتغلها الرهبان
 وصيروها جيدة خصبة وقابلوا اصحابها بتعليم اولادهم واحضادهم مبادئ الديانة
 والقراءة بدون بدلٍ، وتقديم قدايس معينة لاجل نفوس امواتهم وغير ذلك من
 المنافع الروحية والمادية التي يسرّحها اليهم الرهبان . فكانت هذه الاوقاف قد صارت،
 بحصر المعنى ، مبتاعةً ابتغاءاً لا عطاءً ولا هبة . اذاً فلي نصف العقلاء النصفون .
 واذا كانت الرهبانية تسلمت بعض اديار فقد انتهت اليها رمةً وخراباً وعجز
 المتولون عليها عن قيامها ووفاء الديون عنها^(١) ، ولما آلت الى التلف والهدور
 تداركتها الرهبانية ووفت ديونها وبذلت على عمارها وتجديدها مالا كسبته
 بتعب ابنائها . واليك ما يبشّر كلامنا : انّ الرهبانية انفتحت على ترميم بعض
 الديرية اربعة وعثمانين الفاً وتسعة وعشرين غرشاً^(٢) ، ويبادل العرش في ذلك العصر
 نحو مئة غرش ذهباً من النقود الحاضرة^(٣) . ومن تصفح سجلات اديارها واطّلع
 على الصكوك والحجيج المصونة في خزائنها ظهر له انّ املاكها ومقتنياتها ابتاعها
 رؤسائها وابناؤها بالحلّ حقلوه بكّد ايديهم وبدمٍ هرقوه ثمناً لها وحفاظاً عليها
 واذا راجعنا تاريخها وامعنا النظر في واقع الحال الآن رأينا انّ كثيرين من
 اهل القرى يعيشون وعيالهم بفضل الديرية المجاورة لهم ، اذ تفرز لهم الرهبانية
 حصّة من املاكها فيشتغلونها ويُقسم ريعها بين الفريقين ويُسسى هؤلاء شركاء
 مساقاة . واذا ألمت بهم حاجةٌ او مصيبة اسرعت الرهبانية الى دفعها عنهم
 وحضنتهم كما تحضن الامّ اولادها . ناهيك من القوائد الروحية المبذولة لهم .
 وكم من قرى عديدة هجرها اهلها المسيحيون فاقفرت بسبب الغزو واللب

(٢) سجلّ دير الليرة المخطوط

(١) طالع تاريخ الرهبانية ج ١ ص ٢١

(٣) تاريخ الرهبانية ١٠٤٢ وفيه اسما الحاحيات في ذلك العهد ، وتجذ في ص ١٠٠ يان

نقطة ترميم مطبنة ضر ابي علي

والاضطرابات والحروب ، وتشثروا في كل مكان يقاسرون عناء المراءة والفقر والهجر . ثم رجعوا الى قراهم وعمروها وتوطنوها بتوطن الرهبان جيرانهم فاستأنسرا بهم وزالت مخاوفهم بجوارهم وعادت السكينة الى قلوبهم اذ كان الرهبان يتلقون عنهم الضربات ويقحمون الالهوال والمخاطر ويطمونهم الصبر والجرأة على مقارعة الخطوب والنوازل .

واننا نورد هنا شهادة اثري خطير وعالم جليل درس تاريخ بلادنا بدقة وروية وكتب فيه فصلاً تاريخية ثمينة قال :

« ان ظهور النصرانية فتح باباً جديداً للتدُن والمضارة في لبنان . فان المستمرات الرهبانية اتخذت لبنان منزلاً لعمالها النسكية وقد اختارت لذلك اقر ما وجدته من الادوية فصار النساك يميلون فيها يد الحراثة حتى اضحت هذه الماشك بد زمن مراكز لضياع عديدة كما جرى في اوربة حيث نرى مدناً كثيرة كانت في اول امرها ديرة للرهبان اوى اليها الغوم فصارت مع نادي الالام بلاذا راسة » (١)

خذ لك ما يدعم هذه الحقيقة الواضحة : نشبت الحروب والاضطرابات في بلاد جبيل والبترون واستمرت نيرانها واندلمت السنها في امكنة كثيرة ولاسيما في وادي ايليج (ميفوق) وتزل باهلها من ضروب المكاره والمظالم ما اضطرها الى التروح عنها الى اماكن تسود فيها الراحة والسكينة . فهال الامير يوسف شهاب ، الحاكم المسلم ، ما حارت اليه البلاد من الحراب والدمار لانه لم يجرؤ احد على السكن فيها ، فمقد مجلس دياره وشار عليه كاتب سره الشيخان المارونيان ابوفارس سعد الحوري وسمان البيطار ان يهزل الطرق لقيام الرهبان اللبنانيين في هذه البلاد رغبة في عمرانها لانها امت قاعاً فصفاً ومأوى للديبة والتمورة كحدوتون ورام وراشا ومار ماما والسديق ومحمرش وميفوق الخ . . . وان التمورة كانت منتشرة على الطرق لاسيما على طريق حاقل ولخفد الى قرب جبيل وقطعها على المسارة ، وكان النمر موجوداً بكثرة في ارض دير ميفوق كالغريا ووطاً عيطا ، فللك الامير يوسف الاب اقليموس المزرعاني رئيس الرهبانية اللبنانية العام خزائب دير ميفوق ، ودير كفيفان ، ودير حوب ،

وانطوش جبيل وكنيسته الكبرى ، وباقي كتانس سهل جبيل وما يتبع هذه الاماكن من الاراضي ، بصكوك شرعية سنة ١٧١٦ ، وكان يستوفي منها الاموال الاميرية . انتشر الرهبان في هذه المحال يقيمون فروض العبادة والصلاة ، ويعكفون على عمل اليد تحميلاً للقوت ، وقد عانوا من صنوف الظلم والجور الذي لحقه بهم القوم الغزاة الطامعون السفاكو الدماء ما لا يستوعب وصفه هذا المثال حتى ألجى رهبان دير ميفوق الى الفرار منزهين احياناً الى الاردنية والمناور يجتثون فيها متوسدين الحجر وملتحنين الفضا . ومختنين آلات العمار وآنية الدير النحاسية في شقوق الارض وكهوفها .

وكان الامير يوسف شهاب والشيخان البيطار والخوري لا يقترون عن مساعدتهم وحمايتهم على قدر الاستطاعة وتنشيطهم على اجمال الكوارث والملتات ، وما انفكوا ينازلونها حتى ذلزلها بصبرهم وجهادهم وصرخوا ، وسائر اخوانهم الرهبان ، الهتة الى تسير الاديار في بلاد جبيل والبترون واحياء موات الاراضي السباخ وذات الصخور والاشراك ، فعاد الاهالي الى قراهم يمارسون واجباتهم الدينية بانساطه وسرور لانذين بحمام مستطين العيش في جوارهم . وتقلص ظل الحرف والجور رويداً رويداً ، فعمرت البلاد ورفرت فوق ربوعها طيور الامن والرخا.^{١)}

ألست هذه ماثرة من مآثر الرهبانية البيضاء في جنب الدين والوطن والبلاد ؟

.....

واذا اجلنا الفكر بالصناعة في الرهبانية رأيناها في كل عصر قد مثلت في ادوارها ، وكانت زاهية زاهرة . فرأينا الرهبان ابعد مطلباً ومطجاً واحداً ذهنياً من عامة الناس واسبقهم الى اتقانها والمهارة فيها . فكان منهم البنؤون ، والحدادون ، والتجارون ، والحيّاكون ، والطبايعون ، والخطاطون ، والاسكافون ، والسنكريون ، والمصورون ، والاطبا . وقد ازدهرت هذه الصنائع في الرهبانية ايما ازدهار واتسع نطاقها في الاديار فاصبحت بغير عن اسعاف الايدي القريية .

(١) عليك بالبيذة التاريخية في دير سيدة ميفوق التي نثرناها في مجلة المشرق (٢٤)

وعن ابنائها تلقن بعض العالمين اصولها فكانت مرترقا لهم ولصياهم .
وقد دهش السيد ميلن لدن رأى المطبعة في دير قزحيا ودار التجليد
وسائر الصنائع قائمة على قدم وساق فقال :

« زرتنا كل معاهد الدير وأعجبتنا بالمطبعة التي هناك فإن الرهبان يتكثرون ان يطبوا
عليها ، مع قلة ادواخا ، ما يشاؤون باللتنين الرمية والسريانية مما يدل على نشاط لا يعرف
الملل وهمم تستهين بالمصاعب . وهناك صانع لتجليد الكتب والنجارة وغيرها من الصنائع .
ولقد طفت فلسطين ولبنان كله فلم اجد مطبعة او مكتبة الا في الادبار . وهذا ما يزيد
قول القائلين ان الرهبان هم اعداء الجهل . »

ولما اتى محبسة الدير وراه الحبيس ، الذي مضى على سكنه فيها خمس
واربعون سنة ، مغارته التي يحفظ فيها القربان الاقدس على مذبح جميل من
نحت يده قال : « ان امر النحاتين لا يمكنه ان يأتي بمثل ذلك التنضيد الذي
صنعه الحبيس على مذبح مغارته . »

زونا في ١٩٢٥ دير القديس اليشع القديم ، في سفح الوادي المقدس ، فوجدنا
هناك صندوقا كبيرا للحنطة من خشب الشربين يسع نحو ستين شنبلأ ورأينا
اجزائه فاذا هي ملتحمة متداخلة بعضها في بعض بدون تقب ولا مسار ، وهو
اثر جميل للتمانة في هذه الصناعة وقد حفر اسم صانعه على عارضة منه وهو
« القس يمين العراموني سنة ١٧١٩ »

والذين مهروا واشتهروا في هذه الصنائع من ابنا رهبانيتنا البلدية اللبنانية
كثيرون ، نأتي على ذكر بعضهم .

في البناء

الآباء : عبد الله الاميجي ، عبد الاحد البكاسيني ، يوسف القليعاتي ،
وتادروس صليا الشوف^(١) ، ومرتينوس ديك المجدي ، ومخائيل الحراط البكفراوي ،
وتادروس البشراوي . ومن الاخوة : حنا حراجل ، وحنا الشنميري ، ويولس
المشثاني ، عبد المسيح القلبرني ، يوسف المعادي ، ويعقوب الدلبتاي ،
ومبارك شقيق الاب تادروس صليا المذكور ، واجناديوس عبد الله الثورويان .
واقدرهم واشهرهم الاخ عبد الله الحياز الزرعاني اصلا ، ومزرعة شرمار^(٢) مولدا .

(١) قرب دير سيدة مشوشة في جزين .

(٢) شرقي دير قزحيا

تلقى صناعة البناء على الأب عبد الله الأحمدي ، وسُمي باسمه وقد عُرف باسم :
 الاخ عبد الله الحجار ونمت « بقدام الحجارين والبائين ومطعمهم .^(١) » وعليه أتقن
 هذه الحرفة وبرع فيها ابن شقيقه الاخ ميخائيل الحجاز الذي اخذ عنه صناعة
 البناء والتحت بعض اهالي قرية ميفوق . وقد اشتغل هؤلاء الرهبان البتاؤون
 ولاسيما الاخوين عبد الله وميخائيل في عمار وبناء وترميم معظم اديارنا كرشيا ،
 ومار روكس مراح المير^(٢) ، ونسيه ، والقطارة ، وميفوق ، رعنايا ، ومار ساسين
 بكتا ، وقزحيا ، والجديدة ، وفي الجسور والطواحين والسدود والمعابر^(٣) .

في التجارة

الآباء : مرتينوس بقسما ، وعمانويل مطر اللحفيدي وقد أتقنها على يد
 الاخ برتلماوس خير الميفوقي ، وبولس نون الجراني . ومن الاخوة : جبرائيل
 الغراموني ، ويعقوب المزرعاني ، وبطرس بقسما ، وانطونيوس الحدوتي ،
 واندرائوس حرب التنوري ، واسطفان ابي هيكل اللحفيدي . وكان ابرعهم
 واتدبرهم تفتناً المرحوم الاخ برتلماوس خير المذكور ، وله في اديار بلاد جبيل
 والبترون آثارٌ تشهد له بالتفتن والمهارة في هذه الصناعة^(٤) .

في المياكة

من معاصرينا ، الآباء : سمعان لبعه ، واسطفان النبحاري ، وجرجس ابي
 نادر المعادي ، وفرنسيس صليبا السبريني ، ونعمة الله ابي لطف الله الصغاري . ومن
 الاخوة : حنا بيت لهما ، ومبارك حرقا ، ومبارك البزوني ، ومرتينوس العنداري ،
 وروكس الكنيفاني ، وبولس الحشاش الميفوقي ، واندرائوس حرب ، ويسف
 سنجب مطر التنوريان

في السكر

الأب اقليموس مراد التنوري ، والاخوان بطرس الفريديسي ، وجبرائيل

(١) كذا دعاه كاتب ترجمة الاب لورنسيوس الشابي المطية . توفي الاخ عبد الله في دير
 المدينة في ٣٠ آذار سنة ١٨٧٣ وذكر الاب أنكري : « ان له اثاباً وافرة في الرهبانية . »

(٢) قرب عجلتون (٣) اخذنا اسماهم عن تبيذ تاريخية يدنا .

(٤) ادركته الرفاة في دير ميفوق في ٨ شباط ١٩٣٦

غبروش الكفيفاني . . .

في الطباعة والخز

الآباء : ساروفيم شوشان البيروتي ، ومرقس الاعمجي ، وهارون أبطر الذي ادار مطبعة دير قزحيا خمسا وخمسين سنة^{١١} ، ومتي تولا الجبة ، والاخ ساروفيم حوقا . . . ويدير الآن مطبعة دير سيدة المعونات (جبيل) الاخ جرجس حرب التنوري .

في التجليد

الآباء : اغناطيوس بلبيل ، ونعمة الله الحرديني المشهور « بقديس كفيان » ، وبولس كفرحتنا ، وهارون ايضو ، وحنا الشبلياني ، وسيمان ايضو ، ومرقس ايضو ، وبولس غوما . . .

ولا نعرف من الذين اجادوا حرفة الحياطة واتقنوها سوى الايوان مارون السريعي الحبيس ، ورافائيل الحصريوني اللذين كانا يجيطان وشاحات (بدلات) جميلة للتقديس .

في الطب

الآباء : اليسع المعادي ، ومتي تولا الجبة ، ومارون الصفايي ، واقليموس مراد التنوري ، ودانيال الحدثي المعروف « بقديس ترطبا » . والاخوة عبد المسيح الشبايي ، وناوفيطوس وحنا السريعيان ، وبطرس ابي موسى الاعمجي . . .

في التصوير

الآباء : نستير الطرابلدي ، وبطرس القبرسي ، ونستير مدليج قيتوله ، واسطفان وشربل الديوانيان ، والاخ نعمة الله المعادي ، درس هذا الفن على الفنان البارح الاستاذ حبيب سرور الماروني ، وارسلته الرهبانية الى باجكة فاتقنه هناك كما اتقن الخمر وصب التماثيل من الجبس . وان الصور التي رسمتها يده في الاديوار وكنائس القرى ، وقبب الترائيس ، والمذابح الرخامية ذات الحفر والنقوش البديعة تنطق بمهارته وخبرته .

(١) راجع ترجمة حياته التي اثنائها في المشرق (٢٣) [١٩٣٥] : ٥٩٠-٥٩٤

في الحدادة والفرجة

الاب مارون علوان ايطر ، والاخ نعمة الله المحرشي الذي أعجب به حنا الياس واولاده المشهورون في دورما (لبنان).

ومن جال في انحاء لبنان رأى اديار الرهبانية المارونية القائمة على قم جباله وفي سفوح اوديته كطيور الحمام البيضاء او كالاسود الرابضة في اجناتها تملأ العين قرةً والنفس مسرةً ، يجيا فيها الرهبان حياة الابداء والصلاة والعمل باثين في الشب هذه الروح الطيبة . وانا نخم هذا المقال بكلامه بليغ من خطاب شائق القاه سعادة سفير فرنسة لدى حكومة الجمهورية الفضية في حفلة اكرامية اعدّها الشب الارجنيني والجاليات اللبنانية والسورية لسيادة المطران شكرالله خوري ، الزائر البطريركي الماروني في اميركة ، وقد ترجمته جريدة البشير البيروتية الممتربة ونشرته^١ . قال السفير صاحب الخطاب :

« انا زرت سورية في صباي ، واجاهر امامكم ، اجا السادة ، بما عشت متفلاً في جميع اقطار العالم تقريباً ، انّ ما من تذكّار في مخيّلتي اجمل من مناظر الاديار المارونية القائمة على ضفاف الناصي تحيط بها الجبال المنتظمة السلة المرفوعة باشجار الزيتون والدفل . لقد تركت ، والمحق يقال ، في ضيافتهم فاملو في ماملة الابن . ولكن الذي يترقل الى اعالي قم لبنان يشاهد ادياراً أخرى لبنانية اجمل من الاولى ، لا ينف امام البصر المستدّ منها نحو الغرب الا غايات الصنوبر وخط البحر الازرق !

« هنالك قمت في الماضي قوى نشاط حيّة وحالات شعور ، واصول مدنبة وحاضرة وقوى روحية ، غيّرت شكل البشرية الفكرة فارتكز الحب مكان اللذات القديمة .

« لاشك اننا ملتزمون برفان جميل كثير للرهبان الذين يعملون ويتأملون في اخفائق الازلية غير المتناهية لان الافاضل بينهم طرّفوا الروح المصرية وهذبوها ، ورفقوا ان اوج سام روح الانسان وقلبه وعلّموا البشر الصلاح والاخلاص والتفوى والفضيلة . ونحن حينما كنا مسيحيين او لم نكون ، تمب لهذه الاشياء السابة ونحن اليها وقتخر جا . . . »